المقدمة

تتناول هذه الدراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للبنغال منذ الفتح الإسلامي حتي الغزو المغولي، وترجع أهمية الموضوع إلى جدته، ليس فقط لعدم دراسة الموضوع سابقاً باللغة العربية، وإنما أيضاً لقلة الدراسات الاقتصادية والاجتماعية للهند في العصر الإسلامي، وتركيز الباحثين على الجوانب السياسية بصفة خاصة. وذلك على الرغم من الأهمية القصوي لدراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للهند في العصر الإسلامي؛ لأن فهم تاريخ أي إقليم يتطلب دراسة وتحليل أكثر من جانب من جوانبه الحضارية، فدراسة الأوضاع الحضارية والسياسية يكمل كلاهما الآخر ليعطينا تصوراً كاملاً عن تاريخ الإسلام في الهند، وأيضاً للاستدلال على انتشار الإسلام وتوغله فيها ليس فقط عن طريق الفتوحات، وإنما أيضاً عن طريق التوغل السلمي لحملة هذا الدين من الدعاة والتجار والصوفية وغيرهم.

وأهم أسباب دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للبنغال بصفة خاصة إلقاء الضوء على ذلك الإقليم الهندي الهام الذي مكنه موقعه الاستراتيجي وثرواته الهائلة وتنوعه البشري من الإسهام بدور كبير في الحضارة الإسلامية. وقد زاد هذا الدور أهمية فترة الحكم الإسلامي له، وخاصة عصر سلاطين البنغال، فقد شهد الإقليم في عهدهم نهضة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية كبيرة.

وقد أحدث الفتح الإسلامي للبنغال تغيرات اجتماعية واقتصادية كثيرة، فقد فتح الباب لدخول عناصر جديدة من السكان. ويعد إقليم البنغال من أكثر أقاليم الهند التي استقرت بها أعداد كبيرة من المسلمين من أصول مختلفة من الأتراك والخلج والأحباش والفرس والعرب وغيرهم، خلال ما يربو على الستة قرون من الحكم الإسلامي. وقد نتج عن هذا الأمر تغيرات اجتماعية هامة، فلم يكن الفتح الإسلامي للبنغال مجرد فتحاً عسكرياً نتج عنه تأسيس قوة سياسية فقط، وإنما قدم الفاتحون الجدد مثال الإخاء والمساواة بين الطبقات الاجتماعية وأتباع الديانات المختلفة، وقد أحدث ما قدموه من أفكار جديدة للنظام الاجتماعي تغيرات عظيمة في المجتمع البنغالي جعلها جديرة بالدراسة.

وقد نتج عن هذه التغيرات الاجتماعية في التركيبة السكانية للبنغال آثار سياسية واقتصادية واجتماعية. فعلى الصعيد السياسي حكم البنغال أسر إسلامية كثيرة تنحدر من سلالة أولئك الرواد القادمين من البلدان الإسلامية المختلفة، وكونوا سلطنات إسلامية مستقلة بها. وعلى الصعيد الاجتماعي اكتظت البنغال بالمستوطنات الإسلامية التي نشط سكانها بالدعوة إلى الإسلام بين السكان المحليين.

وشهدت هذه الفترة ازدهار اقتصادي كبير، لازدهار الزراعة والصناعة والتجارة، فقد قام المستوطنون المسلمون بجهود ملحوظة في زيادة الرقعة الزراعية مما أدى إلى وفرة في المحاصيل. هذا فضلاً عن ازدهار الصناعات المختلفة بالبنغال لتلبية احتياجات السكان المتزايدة بسبب ارتفاع مستوي المعيشة، ولزيادة الطلب على المصنوعات البنغالية في الخارج، مما أدى إلى ازدهار النشاط التجاري وخاصة

التجارة الخارجية، وخاصة مع النشاط المتزايد للتجار العرب والفرس والصينيين والأوربيين وغيرهم.

وقد تم تقسيم البحث إلى تمهيد وأربعة فصول: يتناول **التمهيد** التعريف بالبنغال، ودخول الإسلام لها قبل الفتح الإسلامي الذي تم على يد "محمد بن بختيار خلجي". يتناول **الفصل الأول** الفتح الإسلامي للبنغال الذي تم على يد "محمد بن بختيار خلجي"، ثم عرض للأوضاع السياسية للبنغال تحت حكم سلطنة "دهلي". ودراسة للسلطنات الإسلامية المستقلة في البنغال التي حكمتها عدة أسرات انتمت لأجناس مختلفة، وأولها أسرة "إلياس شاه" التي حكمت البنغال خلال فترتين: الفترة الأولي (٧٤٠هـ / ١٣٣٩م: ٨١٢هـ / ١٤٠٩م) وانتهت بسقوطها على يد راجا "كانس". وقد حكمت أسرته البنغال خلال الفترة (٨١٢ه / ١٤٠٩م: ٨٤٦هـ /١٤٤٢م) ، والفترة الثانية: تبدأ بعودة أسرة "إلياس شاه" للحكم سنة(٨٤٦هـ / ١٤٤٢م)، واستمرت حتى سنة (٨٩٢ هـ / ١٤٨٦م)

وتتابع على حكم البنغال من بعد أسرة "إلياس شاه" عدد من الأسر أهمها أسرة "بنو حبشي" (٨٩٢هـ : ٨٩٩هـ / ١٤٨٦م: ١٤٩٣م) وهم من الأحباش الذين تزايد نفوذهم في الجيش والإدارة حتي وصلوا للحكم، وانتهي أمرهم على يد السلطان "حسين شاه" الذي أسس أسرة عربية حكمت البنغال في الفترة (٨٩٩هـ : ٩٤٤هـ / ١٤٩٣م: ١٥٣٧م)، وانتهت باستيلاء الإمبراطور المغولي "همايون شاه" على البنغال. ولكن بعد هزيمته على يد السلطان الأفغاني "شير شاه السوري" عادت البنغال دولة تابعة لسلطنة "دهلى" مرة أخري، وذلك حتي استقل "تاج خان قراني" بها سنة (٩٧١هـ / ١٥٦٤م)، وظلت خاضعة لأسرة قراني الأفغانية حتي نجح السلطان "أكبر شاه" المغولي في ضمها سنة(٩٨٢هـ / ١٥٧٤م).

ويتناول **الفصل الثاني** الأوضاع الاقتصادية للبنغال، ويبدأ بالنشاط الزراعي الذي يتضمن عوامل ازدهار الزراعة ووسائل الري وأهم المحاصيل التي اشتهرت بها البنغال والثروة الحيوانية. ويليه النشاط الصناعي الذي شهد ازدهاراً كبيراً، مع بحث أسباب هذا الازدهار، وعرض للصناعات المتنوعة في البنغال، وأهمها صناعة المنسوجات والصناعات الجلدية والغذائية والخشبية والعاجية والفخارية والمعدنية والورقية. كما يتعرض الفصل للتجارة الداخلية وأسواق البنغال، والتجارة الخارجية مع أقاليم شبه القارة الهندية وعبر البحار مع شبه الجزيرة العربية وإيران والصين وإفريقيا ودول جنوب شرق آسيا وغيرها. كما يبحث الفصل في النظام المالي للدولة، وموارد الدخل ونفقات الدولة، والمعاملات المالية ومستوي المعيشة.

ويتناول **الفصل الثالث** الأوضاع الاجتماعية للبنغال، ويتضمن عناصر وطبقات المجتمع الهندي في البنغال، وعناصر المسلمين بها التي قمست إلى قمسين: القسم الأول: العناصر الوافدة إلى البنغال، وأهمها العرب والأتراك والخلج والفرس والأحباش والمغول والبرتغاليين والبارسيين، والقسم الثاني: المسلمون المحليون الحديثي العهد بالإسلام من البنغاليين. وطبقات المجتمع الإسلامي، والعلاقات بين المسلمين والهنود، وعادات وتقاليد المجتمع البنغالي في المأكل والملبس. والاحتفالات الاجتماعية التي من أهمها احتفالات الزواج والاحتفال بالمولود، ومراسم الدفن، والأعياد الدينية والقومية للمسلمين والهنود، والموسيقي والرقص في البنغال، وأوضاع المرأة البنغالية تحت الحكم الإسلامي، والمؤسسات الاجتماعية.

ويبحث **الفصل الرابع** في مظاهر التأثير والتأثر بين المسلمين والهندوس بالبنغال، والتي من أهمها تأثر الهنود بعادات وتقاليد المسلمين في المأكل والملبس ومراسم الدفن. وكان لاحتكاك المسلمين بالهندوس دور كبير في تأثر الهندوس بالروح

الاجتماعية العالية للإسلام؛ مما أدى إلى ظهور حركات إصلاحية للمجتمع الهندي تنشد إلى محاولة القضاء على سلبياته التي من أهمها النظام الطبقي الصارم وعادة الساتي وغيرها. كما تناول الفصل تأثر الصوفية المسلمون بالصوفية الهنود، وتأثير الصوفية المسلمون على المجتمع البنغالي، وتأثير اللغتين الفارسية والعربية على اللغة البنغالية. والعمارة الإسلامية في البنغال وتأثرها بطراز العمارة المحلية، وفن التصوير بالبنغال وتأثره بالمدرسة الشيرازية، وتأثيره على مدرسة التصوير الهندية بالبنغال. وذلك مع عرض أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ومكتبة البحث وملاحق الرسالة من الجداول والخرائط وكتالوجات العملات والأشكال.

obeikandl.com

دراسة نقدية لأهم مصادر ومراجع البحث

تنوعت مصادر الدراسة ما بين المصادر العربية والفارسية والفارسية المترجمة والبنغالية المترجمة والأوربية المترجمة، فضلاً عن المراجع العربية والأجنبية والدوريات العربية والأجنبية والموسوعات والرسائل العلمية.

وقد تمثلت صعوبة الدراسة في قلة ما كتب عن تاريخ البنغال باللغة العربية، فضلاً عن قلة ما كتب تاريخها الاجتماعي والاقتصادي. ولذلك بذلت قصاري جهدي في استقراء كل ما ورد عن تاريخ البنغال في المصادر والمراجع العربية والفارسية، فضلاً عن المراجع الأجنبية الحديثة المتخصصة في تاريخ البنغال، والتي اعتمدت على مصادر هندية وبنغالية معاصرة، وكذلك تحليل المعلومات المستخرجة من المصادر للوصول إلى الحقيقة التاريخية عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للبنغال فترة البحث.

أولاً: المصادر والمراجع العربية

تعد كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين من أهم المصادر العربية التي أمدتنا بمعلومات هامة عن بداية دخول الإسلام للبنغال، كما ألقت الضوء على أوضاعها الاقتصادية، ومن أهمها ما كتبه "ابن خرداذبة" (ت٣١٠هـ/٩١٢م) في كتابه "المسالك والممالك"، وهو يعد من أهم أوائل الجغرافيين المسلمين الذين ورد ذكر موانئ البنغال في مؤلفاتهم. وقد ذكر معلومات هامة جغرافية واقتصادية عن هذه الموانئ.

وكذلك ما كتبه "المسعودي" في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، وقد زار "المسعودي" الهند في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، واهتم بالحديث عن الموانئ البنغالية، وتميز كتاب "المسعودي" بذكر معلومات اقتصادية هامة عن البنغال.

وأيضاً ما أورده "ابن بطوطة" (ت٧٧٧هـ / ١٣٧٥م) في كتابه "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". وقد زار "ابن بطوطة" البنغال في فترة هامة من تاريخها الإسلامي، وتمثل هذه الفترة بداية استقلالها عن سلطنة "دهلي"، وقد ذكر معلومات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية هامة عن البنغال في هذه الفترة.

ومن المصادر الغير متخصصة التي اهتمت بذكر البنغال وعلاقاتها المبكرة بالعرب كتاب "الذخائر والتحف" لمؤلفه "الرشيد بن الزبير"(الذي عاش في القرن الخامس الهجري) الذي قام بتحقيقه محمد حميد الله.

ويعد كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" "لابن فضل الله العمري" (ت٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) من المصادر الهامة التي اعتمد عليها البحث، فقد أفرد المؤلف باباً في كتابه عن مملكة الهند والسند، وقام بتحقيق هذا الباب ونشره محمد سالم بن شديد العوفي، وأورد فيه معلومات اقتصادية وإدارية هامة.

وأيضاً مؤلف "القلقشندي" (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) الهام "صبح الأعشي في صناعة الانشا"، وقد أفرد في الجزء الخامس منه باب عن أوضاع الهند السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عصره، وقد تم الاستفادة منه في الأوضاع الاقتصادية بصفة خاصة.

ومما يجدر ذكره أن الدراسات الحديثة عن تاريخ البنغال باللغة العربية دراسات قليلة، ومن أهمها مقال د. محمد مهر علي تحت عنوان "انتشار الإسلام في بنجلاديش وغربي البنغال"، الذي نشر في الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، بجامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية. ومؤلف أ. د.عصام الدين عبد الرؤوف الفقي "بلاد الهند في العصر الإسلامي"، وكتاب عبد المنعم النمر "تاريخ الإسلام في الهند".

ثانياً: المصادر الفارسية

أما أهم المصادر الفارسية التي اعتمد عليها البحث كتاب "رياض السلاطين" الذي يعد المصدر الرئيسي لدراسة تاريخ البنغال في العصر الإسلامي، ومؤلفه "غلام حسين سليم زيدبوري" (ت ١٢٣٣هـ / ١٨١٧-١٨١٨م) الذي قضى غالبية حياته في خضم الأحداث السياسية للإمبراطورية المغولية في الهند. فقد هاجر إلى البنغال حيث عمل رئيس بريد شركة الهند الشرقية تحت رئاسة "جورج أودني" رئيس الإعلان التجاري للشركة، والذي طلب منه كتابة مؤلف عن تاريخ البنغال، فاستجاب لطلبه وألف "رياض السلاطين". وقد أتاحت له وظيفته رعاية ملكية، وفرصة للتنقل من مكان لآخر، ومقابلة شخصيات هامة في الدولة. هذا بالإضافة إلى طبيعة وظيفته التي مكنته من الحصول على وثائق هامة. كل ذلك كان له أثر كبير في إضفاء الدقة والمصداقية على كتابه. ويعد كتاب "رياض السلاطين" مؤلف مختصر لتاريخ البنغال، وقد غطى فترة طويلة من تاريخها امتدت إلى ما قبل الفتح الإسلامي لها حتي أواخر العصر المغولي، وقد انتهي منه سنة (١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م. ١٧٨٨م)

ويبدأ الكتاب بمقدمة من أربعة فصول يعرف فيها بإقليم البنغال وحدوده ومميزاته وأهم مدنه. ويستعرض المؤلف بعد ذلك تاريخ البنغال منذ الفتح

الإسلامي حتي الحكم البريطاني لها، ويؤخذ على هذا الكتاب احتواؤه على أخطاء كثيرة، وخاصة تواريخ تولية ووفاة غالبية السلاطين، وذلك بمقارنتها بكشوفاتهم الأثرية وخاصة عملاتهم ونقوشهم الأثرية. مع ملاحظة أن هذا الأمر لا يختص به "غلام حسين" فقط وإنما هو يشمل كل من كتب في تاريخ البنغال من المؤرخين المعاصرين. ولذلك لا يمكن كتابة تاريخ هذا البلد في العصر الإسلامي بشكل صحيح دون الاعتماد على المصادر الأثرية لها.

ومن المؤلفات الفارسية التي ألقت الضوء على الفترة المبكرة للحكم الإسلامي للبنغال كتاب "طبقات ناصري" "لمنهاج سراج جوزجاني" (ت٦٥٨هـ /١٢٥٩م) الذي وفد إلى الهند سنة (٦٧٦هـ / ١٢٢٧م)، وعين قاضياً في بلاط "نصير الدين قباشا" في "أوش"، واتجه بعد ذلك إلى "دهلى" حيث عمل في خدمة السلطان "شمس الدين إيلتمش"، وذكر في مؤلفه معلومات هامة عن البنغال خلال الخمسين سنة الأولي للحكم الإسلامي لها، مما لم يتوفر في غيره من المصادر، بل إنه يعد المصدر المعاصر الوحيد للتأريخ للبنغال في الفترة من الفتح الإسلامي لها حتي سنة (٦٥٨هـ / ١٢٥٩م).

وقد قضى "منهاج" عامين في البنغال(٦٤٠هـ-٦٤١هـ / ١٢٤٢م-١٢٤٣م)، تمكن خلالهما من جمع المادة العلمية الخاصة بكتابه، كما أنه كان معاصراً لكثير من الأحداث الهامة التي لم يرد ذكرها إلا في كتابه. ومن أهم مميزات "منهاج" في كتابته التاريخية اهتمامه بذكر التطورات الحضارية للمجتمع الإسلامي في الهند.

"تاريخ فخر الدين مباركشاه" "ليحي بن أحمد بن عبد الله السرهندي"، وهو تاريخ لسلاطين "دهلي"، بدأه بفتوحات الدولة الغورية في الهند، وانتهي به عند أحداث سنة(٨٣٨هـ / ١٤٣٤م)، وقد ألفه لسلطان "دهلي" "مبارك شاه" (٨٢٤هـ

/ ١٤٢١م : ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) الذي سمي الكتاب باسمه، وكان يعمل في خدمته. وتميز "يحي بن أحمد" بكونه مؤرخاً معاصراً للأحداث، فضلاً عن توخيه الصدق في كتاباته، وقد ذكر معلومات هامة عن الفتح الإسلامي للبنغال.

كما اعتمد البحث على كتب الحوليات التي تناولت التاريخ الإسلامي للهند، وتعرضت فيه لتاريخ البنغال، ويأتي على رأسها "طبقات أكبري" للمؤرخ "نظام الدين أحمد بخشي" (ت ١٠٣٠هـ / ١٦٢١م)، ويغطي كتابه الفترة من الفتح الإسلامي للهند حتي نهاية حكم الإمبراطور "أكبر شاه". وقد ترجمه من الفارسية إلى العربية د. أحمد عبد القادر الشاذلي تحت عنوان: المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني في ثلاثة أجزاء. ويعرض الجزء الأول من هذا الكتاب التاريخ الإسلامي للهند منذ فتوحات السلطان الغزنوي "سبكتكين"، ثم يتناول الفتح الغوري للهند، ويتعرض بالتفصيل لفترة حكم سلاطين "دهلي" حتي الغزو المغولي لها. ويؤرخ في الجزء الثاني لحكم السلطان "أكبر شاه". أما الجزء الثالث فيفرد الحديث فيه عن السلطنات الإسلامية المستقلة في الهند، ومنها سلطنة البنغال التي عالجها باختصار.

"أكبر نامه" أو "آيين أكبري" لمؤلفه "أبو الفضل بن مبارك الناكَوري" (ت١٠٠٤هـ / ١٥٩٦م) الذي التحق ببلاط السلطان "أكبر شاه" سنة(٩٨٢هـ / ١٥٧٤م)، وحظي بقربه لمكانته العلمية العالية. وقد ترجمه "بيفريدج" Beveridge في ثلاثة أجزاء. ويعد "أكبر نامه" التاريخ الرسمي والحولي لفترة حكم الإمبراطور "أكبر شاه"، وهو يؤرخ أيضاً لفترة حكم والده "همايون شاه" وجده "بابر شاه". وقد تم الاستفادة بالمعلومات القيمة السياسية والإدارية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية عن البنغال.

"منتخب التواريخ" "لعبد القادر بن ملوك شاه" المعروف "ببداوني" (ت ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م) الذي عمل في بلاط السلطان "أكبر شاه"، وقد ترجمه "جورج رانكينج" George S.A. Ranking إلى الإنجليزية في ثلاثة أجزاء، ويتناول فيه التاريخ الإسلامي للهند منذ الفتوحات الغزنوية لها حتي نهاية حكم السلطان المغولي "أكبر شاه". وقد تعرض لتاريخ البنغال فترة تبعيتها لسلطنة "دهلى".

"تاريخ فرشته" ومؤلفه "محمد قاسم هندوشاه" الشهير "بفرشته" (٩٦٨هـ / ١٥٦٠م: ١٠٣٠هـ / ١٦٢٠م) الذي عمل في خدمة "شاه إبراهيم عادل الثاني" الذي أمره بكتابة التاريخ الإسلامي للهند المعروف باسم "تاريخ فرشته". وتحدث في مقدمة مؤلفه عن الفتح الإسلامي للهند، وقد تناول تاريخ كل إقليم في الهند في العشر كتب الأولى من مؤلفه. ويعد "تاريخ فرشته" من أشهر وأهم تواريخ المسلمين في الهند، وترجم عدد من أجزائه إلى الإنجليزية، وأحسن ترجمة له نشرها "بريجز" في ثمانية أجزاء في لندن سنة ١٨٢٩م.

ثالثاً: المصادر والمراجع الأجنبية

اعتمد البحث على مصادر بنغالية وصينية وبرتغالية وإيطالية هامة، ومن أهم المصادر البنغالية المترجمة كتابات الشاعر "ميكندرم"، وقد ألف كتابه باللغة البنغالية الحديثة التي دخلتها كثير من الكلمات العربية والفارسية، وصب في كتاباته تجاربه الشخصية وأفكاره التي لقيت رواجاً بين أتباعه العديدين من طائفة الفيشنوية. وتمدنا أشعاره بصورة صادقة عن الأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية للبنغال إبان النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وقد اعتمدت الدراسة على ما ورد من ترجمته في كتابيّ:

Gupta, Das J. N. : Bengal in the Sixteenth Century A. D.

Abdu Rahim, Mohammad: Social and Cultural History of Bengal.

ويعد المرجع الثاني من المراجع الأجنبية الهامة التي اعتمدت عليها الدراسة، والتي اهتمت بالتاريخ الاجتماعي والثقافي للبنغال فترة البحث، كما تميز باعتماده على روايات الرحالة الصينيين الذين زاروا البنغال في هذه الفترة والتي تم الاستفادة منها استفادة جمة.

فقد زار البنغال عدد كبير من الرحالة والسفراء الصينيين الموفدين من قبل أباطرة الصين إلى سلاطين البنغال، وقد كتب هؤلاء السفراء تقريرات هامة عن أحوال البنغال في هذه الفترة، صوروا فيها صورة لبلاط سلاطين البنغال في "بندوه"، كما ذكروا معلومات اقتصادية واجتماعية هامة، ومن أهم هذه التقارير:

١. تقرير "ينج ياي شينج لان" كتبه "ماهيان" في الفترة (١٤٢٢م : ١٤٣٢م)

٢. تقرير "سينج شا شينج لان" كتبه "في سين" سنة ٨٣٦هـ /١٤٣٢م.

٣. تقرير "سيا يانج شاو كونج تين لي" كتبه "هوانج سينج تس إينج" سنة ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م.

٤. تقرير "شو يو شوي تسو لا" كتبه "ين تسونج" سنة ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م، والأخير يعد أكثر التقارير الصينية اكتمالاً.

وقد اعتمد البحث على عدد من كتابات السفراء والرحالة الصينيين، وخاصة في دراسة الأوضاع الاقتصادية للبنغال، والتي من أهمها:

Remusat, M. and Wilson, H. H.: Account of the Foe Kúe Ki, or Travels of Fa Hian in India.

Phillips, Geo: Mahuanرَحِمَهَاٱللَّهُs Account of the Kingdom of Bengala (Bengal)

كما اعتمد البحث على كتابات الرحالة البرتغاليين والإيطاليين التي ترجمت إلى اللغة الإنجليزية، وقد سجلوا لنا ملاحظات قيمة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للبنغال إبان زيارتهم لها، ومن أهم هذه الرحلات:

رحلة الرحالة البرتغالي "ديورت باربوسا" التي ترجمها إلى الإنجليزية "مانسيل دامس لونجورث"، وصل للهند في أوائل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، تميز بدقة الملاحظة، فضلاً عن معاصرته لأحداث فترة البحث، وقد أمد البحث بمعلومات اقتصادية واجتماعية في غاية الأهمية. وقد اعتمدت على الترجمة الإنجليزية التي قام بها "مانسيل لونجورث داميس"، وقد ترجمها من الأصل البرتغالي، وهي ترجمة معتمدة.

Barbosa, Duarte : The Book of Duarte Barbosa, Translated from the Portuguese text by Dames, Mansel Longworth.

ورحلة الرحالة الإيطالي "لوديفيكو دي فارثيما" الذي عمل فى خدمة البرتغال منذ أوائل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادى، فقد أرسلت البرتغال "دي فارثيما" ليعمل كجاسوس لها في الأوساط الإسلامية في مصر والشام والحجاز واليمن والخليج العربي وبلاد فارس وإندونسيا والهند، متخفيا تحت اسم الحاج "يونس المصري" في الحجاز وبلاد فارس، وتحت اسم الحاج "يونس الفارسي" في بلاد الهند. وكانت مهمته جمع المعلومات عن الأحوال الداخلية في البلاد الإسلامية، ودراسة النظم الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات الإسلامية في

مصر والشام والحجاز والخليج وبلاد فارس والهند، ومن هنا تأتي أهمية رحلته في معرفة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للبلدان الإسلامية التي زارها.

نشر كتابه للمرة الاولى فى عام ١٥١٠م بناء على أمر من الملك "جيوليو الثانى"، وكان الاكثر توزيعا فى ذلك الوقت، وتم ترجمته الى اللاتينية والأسبانية والفرنسية ونحو ٥٠ لغة اخرى فيما بعد. وقد اعتمدت على ترجمته الإنجليزية التي قدمها "جون وينتر"، وهي ترجمة معتمدة.

Varthema: The Travels of Ludovico DI Varthema, Translated from the original Italain Edition ١٥١٠ by Johan Winter Jones.

ومن أهم المراجع الأجنبية التي اهتمت بدراسة التاريخ الاجتماعي والثقافي للبنغال:

Abdul, Karim: Social History of the Muslim in Bengal.

Ali, Muhammad Mohar: History of the Muslims of Bengal.

Hussain, Syed Ejaz: The Bengal Sultanate (Politics, Economy and Coins) AD ١٢٠٥ – ١٥٧٦.

رابعاً: الدراسات الأثرية

اعتمدت الدراسة على الدراسات الأثرية القيمة عن البنغال، وعلم الآثار هو العلم الذي يدرس حضارة الإنسان عبر العصور في ضوء المكتشفات والشواهد الأثرية الباقية، واستنباط الحقائق التاريخية منها. وتتجلى أهمية الآثار في أن كل ما يحفظه الإنسان على وجه الأرض من العمران إنما هو سجل للتاريخ. فينبغي على

الباحث دراسة الآثار الباقية عن العصر المراد التأريخ له، ففيها مادة علمية صادقة لم يتعرض أكثرها للتحريف أو التزييف.

وقد اعتمدت كتابة تاريخ البنغال على استقراء نقوش مسكوكات وعمائر البنغال اعتماداً كبيراً، ومن أهم كتالوجات العملات التي اعتمدت عليها الدراسة:

Abdul, Karim: Corpus of the Muslim Coins of Bengal.

Goron, Stan: The Coins of the Indian Sultanates.

Wright, Nelson: Catalogue of the coins in Indian Museum.

ومن أهم دراسات الأثريين عن الفنون والصناعات الإسلامية في البنغال:

محمد يوسف صديق: رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في البنغال (دراسة تاريخية حضارية)

Rawson, Philip S.: Indian Painting, New York.

Flosty, Jeremiah: The Art of the Book in India.

DN.Saraf:Indian Crafts (Development and Potentia)

Watt, George: Indian Art of Delhi.

C.M.Birdwood,George: The Industrial Arts of India.

obeikandl.com

Mookerji D.N. : A Monograph on Paper and Papier – mache in Bengal.

Coomarswamy, Ananda K. : The Arts & Crafts of India & Ceylon.

Foster, George M. :Pottery-Making in Bengal.

WatsonE. R. : A Monograph on Iron and Steel work in the province of Bengal.

Smith, Vincent: A History of Fine Art of India & Ceylon.

ومن أهم الدراسات عن العمارة الإسلامية في البنغال التي اعتمدت عليها الدراسة:

Perween Hasan. Sultans and Mosques: The Early Muslim Architecture of Bangladesh.

Knowsley Pamphlet Collection: Bengal village biographies.

Havell,E.B. : A Hand Book of Indian Art.

خامساً: الدوريات العربية والأجنبية

اعتمد البحث على عدد كبير من الدوريات العربية والأجنبية، ومن أهم الدوريات العربية: مجلة **"ثقافة الهند"** التي تصدر عن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية في "نيودلهي"، وقد تم مراجعة أعدادها كاملة، واقتباس ما يفيد البحث، ودورية صوت الهند، وحوليات كلية الآداب جامعة عين شمس، ومجلة كلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر، وحوليات كلية الآداب جامعة الكويت وغيرها.

obeikandl.com

ومن أهم الدوريات الأجنبية:

١.Economic and Political Weekly

٢.Journal of the Economic and Social History of the Orient

٣.Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland

٤.Oriental Art

٥.Social Scientist

٦.Southwestern Journal of Anthropology

وقد بذلت قصاري جهدي في هذا البحث، وإن بدا خلل أو تقصير فعذري أنه سمة أعمال البشر، وأرجو ألا أحرم أجر المجتهد، آمله أن أكون قد وفقت في البحث الذي تناولت فيه بالشرح والتفصيل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للبنغال منذ الفتح الإسلامي حتي الغزو المغولي، كما أرجو أن أكون بجهدي المتواضع قد اسهمت في إفادة المكتبة التاريخية الإسلامية الفائدة المرجوة، والله ولي التوفيق.

obeikandi.com

obeikandl.com

التمهيد

التعريف بالبنغال ودخول الإسلام فيها

التعريف بالبنغال

تقع البنغال[١] في الجهة الشمالية الشرقية من شبه القارة الهندية، وهي قائمة على رأس خليج البنغال، وتمتد سواحلها شمال وشمال غرب خطه الساحلي.[٢] وقد ظلت حدودها السياسية منذ الفتح الإسلامي حتي الغزو المغولي متغيرة وغير مستقرة وخاصة الغربية والشمالية الشرقية منها ؛ وذلك بسبب قيام عدد من سلاطين البنغال بتوسيع رقعة دولتهم من أمثال "إلياس شاه" و"باربكشاه" و"حسين شاه"، لذلك

---

[١] هي الآن جمهورية بنغلاديش، أسست بعد حصول الهند على استقلالها سنة ١٩٤٧م، وشكلت الجزء الشرقي من دولة باكستان حتي انفصالها عنها سنة ١٩٧١م بسبب الصراعات الداخلية بين شقي الدولة. ويشكل المسلمون غالبية سكانها، فيمثلون ٨٠٪ من السكان. (كلوس كريزر، فارنرديم هانسي جورج ماير: معجم العالم الإسلامي، ترجمة د.ج. كتورة، ط١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص١٥٠.)

[٢] محمد يوسف صديق: رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في البنغال (دراسة تاريخية حضارية)، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٤م، ص٢٨.

Wood, H. Arden. A Short Geography of Bengal. London. ١٨٩٥, p.١- ٣.

كثيراً ما تجاوزت حدود الدولة في عهدهم الحدود التقليدية للبنغال، أما بعد الغزو المغولي للبنغال فقد عادت البنغال لحدودها الأولي.[١]

وحدود البنغال السياسية خلال الحكم الإسلامي متعددة، فيحدها من الشرق والشمال جبال الهملايا و"كمروب"[٢] و"آسام"[٣] والتبت من الشمال الشرقي، وتحدها أوريسيا[٤] من الجنوب الغربي، وخليج البنغال من الجنوب، و"بهار"[٥] من الغرب.[٦]

---

[١] محمد يوسف صديق: المرجع نفسه، ص٢٨.

[٢] تقع كمروب في غرب آسام، عاصمتها "جوهاتي".

(Pletcher, Kenneth. The Geography of India: Sacred and Historical Places. Educational Britanica. The Rosen Publishing Group.٢٠١٠,p.١٥٦.)

[٣] تعد آسام من أوئل الأقاليم الشمالية الشرقية المتاخمة للهند، وهي متصلة بحدودها مع البنغال وبهوتان والصين وبورما وجبال الهملايا.

(Chandra Bhushan. Assam (Its Heritage and Culture) . Delhi. ٢٠٠٥,p.٦٥,٧٥.)

[٤] أوريسيا إقليم كبير من أقاليم شبه القارة الهندية، يعد امتداد للدكن، يحده البنغال من الشمال، وخليج البنغال من الشرق، ونهر جودافري من الجنوب، وإقليم غواندناما من الغرب، وكانت أوريسيا تسمي قديماً جاجنجر.

(Sterting, Andrew. Orissa. London. ١٨٤٦, p.٢٢.)

[٥] تقع بهار بين دائرتي عرض احدي وعشرين درجة وثماني وخمسين دقيقة وخمس عشرة ثانية شمالاً، وسبع وعشرين درجة واحدي وثلاثين دقيقة وخمس عشرة ثانية جنوباً، وخطي طول ثلاث وثمانين درجة وتسع عشرة دقيقة وخمسين ثانية شرقاً، وثماني وثمانين درجة وسبع عشرة دقيقة وأربعين ثانية غرباً، وتحدها نيبال من الشمال وولايتي ألترابرادش ومادهابرادش من الغرب وأوريسيا من الجنوب والبنغال من الشرق.

(Chaturvedi,Rita. Bihar through the ages. Orient Longmans. New Delhi.p.٢.)

[٦] Salim, Ghulam Husain. The Riyazu S Salatin. Calcutta. ١٩٠٢, pp.٧-١٥.

obeikandl.com

ولقد تمتعت البنغال بحدود طبيعية وفرت لها حماية خاصة، ومن أهم هذه الحدود غابات "السندربن" وهي قطاع ضخم من الغابات الكثيفة يحدها شرقاً، ويسقط على هذه الغابات كثير من الأمطار التي تزيد من إنتاجها، هذا بالإضافة إلى جبال "جارو" و"خاسيا" و"جينتيا" وشيتاجونج" التي تحدها شرقاً، ويحدها غرباً نهري الجانج والمهاتاندا وروافدهما، ويحف هذه الأنهار سهول واسعة وأدغال أهمها غابات "جهارخاند" التي تفصل بينها وبين أوريسيا، وأيضاً أدغال "بيربهوم" و"سانثال" و"سينجبهوم" و"مانيهيم" و"مايوربهانج".

ومن ذلك يتضح أن اختصاص البنغال بحماية طبيعية من جبال وأدغال وأنهار وخليج، قد جعل من المتعذر الوصول إليها من الخارج، فاتصالها بجيرانها الشماليين الشرقيين ـ التبت والصين ـ غير متاح إلا بمحاولات محفوفة بالمخاطر قد باء أكثرها بالفشل، وذلك بسبب صعوبة اجتياز الجبال الوعرة التي تهب عليها رياح جبلية قوية، كما اقتصر اتصالها "بآسام" و"كمروب" و"بورما"[١] و"أركان"[٢] من خلال ممر

---

[١] تقع بورما بين دائرتي عرض تسع درجات وثماني وخمسين دقيقة وثلاثين درجة وثماني وعشرين دقيقة شمالاً، وخطي طول اثنتين وتسعين درجة، واحدي عشرة دقيقة واحدي وتسعين درجة واحدي ومائة دقيقة شرقاً، وهي تقع إلى الشرق من خليج البنغال، وتنقسم لقسمين: القسم الساحلي وأهم مقاطعاته أركان وتينا سيريم وبيجو، والقسم الداخلي الذي قامت فيه مملكة هندوكية قوية امتدت حتي الغزو البريطاني.

(White, Herbert Thirkell. Burma. India.١٩٢٣, p.١.)

[٢] هي جزء من بورما يفصل بينهما حائط من الجبال، وهي عبارة عن شريط ساحلي طويل ورفيع يمتد شرق خليج البنغال.

(Harvey G.E. History of Burma. New Delhi.٢٠٠٠,p.١٣٧.)

ضيق في مقاطعة "شيتاجونج"[١] في البنغال أو عبر المياه، وذلك بسبب وجود خط طويل من الغابات الكثيفة.

وعلى العكس من ذلك كان العبور للبنغال من شمال الهند متاحاً من جانب "بهار" و"أورسيا"، ولا يتم ذلك إلا من خلال ثلاثة ممرات وعرة، تتصل البنغال عن طريقهم بباقي شبه القارة الهندية. وبسبب صعوبة اجتياز هذه الممرات تمتعت البنغال بحماية من الحدود الطبيعية، مما أدى إلى بلورة شخصيتها المتميزة عن باقي أقاليم شبه القارة الهندية.

وهذه الممرات الثلاثة هي : ممر "تيليا جارهي" الذي اشتهر منذ أقدم العصور بأنه "بوابة البنغال"، وهو ممر ضيق يمر من الضفة الجنوبية العالية للجانج. والممر الثاني هو ممر "تيرهوت" الشهير "بداري بانغا" أو بوابة البنغال، وهو يمتد على طوال الحافة الشمالية للجانج، وهذا الطريق محفوف بالمخاطر لوجود العديد من الأنهار السريعة الجريان والأقاليم القاحلة التي يجب عبورها قبل دخول البنغال. أما الممر الثالث فهو ممر "جهارخاند"، وهو غير آمن لمروره عبر جبال ضخمة وغابات "جهارخاند" الشاسعة.[٢]

---

[١] "شيتاجونج" مدينة كبيرة في بنغلاديش، تقع على قناة سندويب المتصلة بخليج البنغال في الجنوب، وتقع على بعد ٣٧٠كم شرق مدينة "كلكتا"، اشتهرت بالعديد من الصناعات وخاصة صناعة المنسوجات، وهي تعد من موانى بنغلاديش الرئيسية. (عبد الحكيم عفيفي: موسوعة ألف مدينة إسلامية، ط١، بيروت، أوراق شرقية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص٣١٣.)

[٢] Abdu Rahim,Mohammad: Social and Cultural History of Bengal.vol.١. Pakistan Historical Society. Karachi. ١٩٦٣,p.٢,٣.

وكلمة "بنغال" أصلها في اللغة "بنغالا" أو "بنغلا"، وهو مصطلح جغرافي مشتق من كلمة "بنغ"، وتعني الشعب غير الآري في البنغال.[١] وكان اسم البنغال يشير عند بداية الفتح الإسلامي إلى منطقة دلتا الجانج والبراهمابوترا[٢]، والمسلمون هم أول من أعطى لإقليم البنغال كله اسم بنغالة. وكلمة "بنغا" و"بنغالة" ترجع إلى الفترة الهندية، واستخدمت في الأدب السنسكريتي، ولكنها أطلقت على جزء صغير من بنغال الحديثة، وهي الأقاليم الشرقية والجنوبية للبنغال.

وقد وجدت أول إشارة إلى "بنغا" في نقش "أرانياكابراهميتي" الذي أشار إليها كإمارة صغيرة تسمي "كجابناده". كما سميت "بنغا" أو "بنغالة" في مصادر أخري دونت أثناء فترة الحكم الهندي للبنغال، وكان يقصد بها الإشارة إلى الأقاليم الشرقية والجنوبية الواقعة في حزام نهر الجانج.

أما الأجزاء الأخرى من البنغال فقد حملت أسماء مختلفة، فغرب البنغال كان يسمي "راده"، وشمالها سمي "بوندرافاردهان" و"فارندا" و"لكهنوتي" أو

---

[١] محمد يوسف صديق: رحلة في تاريخ النقوش الكتابية الإسلامية في الإسلام، ص٢٨.

[٢] Wood, H. Arden. A Short Geography of Bengal, p.١.

"لكهانوتي"، وكانت بعض الأجزاء في شمال البنغال وغربها تعرف باسم "غور"[١]، كما اطلق اسم "غور" على البنغال كلها أحياناً.[٢]

وفي السنوات الأولى للحكم الإسلامي كانت الأقاليم الشمالية والجنوبية للبنغال هي فقط التي تعرف باسم "بنغالة" أو بنغا"[٣]، وذلك طبقاً لما ذكر في كتابات المؤرخين المسلمين المعاصرين، فقد استخدم "منهاج سراج" ـ الذي كان على علم واسع بالتقسيمات الجغرافية لأقاليم الهند ومسمياتها ـ اسم "بنغا" للدلالة على الأقاليم الواقعة شرق وجنوب البنغال.[٤]

وأيضاً استخدم "براني" اسم "بنغا" للدلالة على شرق وجنوب البنغال، وذلك عند حديثه عن منح السلطان "بلبن" ابنه الأكبر مقاطعة "لكهنوتي" وبنغالة. كما تردد

---

[١] "غَور" وهي بلغتهم "كَور"،اتخذها عدد من سلاطين البنغال عاصمة لهم، كانت تعرف "بلكهنوتي"، وسماها السلطان "همايون شاه" "جنت آباد"، وكانت تعد من أكبر مدن الهند، بلغت مساحتها أكثر من عشرين ميلا مربعا، وكان بها قصور حسنة وجوامع فاخرة وقلعة حصينة، أكثر ذكرها مؤرخو الهند وأطنبوا في وصف خيراتها وكثرة خضرتها، أما اليوم فهي خراب، تقع في مديرية مالده. (معين الدين الندوي: معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر، حيدر آباد دكن ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٣هـ ، ص٣٩.)

[٢] Abdu Rahim,Mohammad. Social and Cultural History of Bengal.vol.١ ,p.٤,٥.

[٣] كانت البنغال قبل الفتح الإسلامي لها تنقسم إلى خمسة أقاليم هي: إقليم "درها" الواقع غرب هوجلي وجنوب نهر الجانج، وإقليم "باجدي" الذي يضم دلتا نهري الجانج والبراهمابوترا، وإقليم "بانغا" الواقع شرق الإقليم السابق، وإقليم "بارندرا" الواقع شمال "بادما" وبين نهري كراتويا ومهاناندا، وإقليم "ميثيليا" الواقع غرب مهاناندرا.

(Haig, Wolseley. The Cambridge history of India. Vol. III. New Delhi. ١٩٦٥, p.٢٦٠.)

[٤] منهاج سراج: طبقات ناصري، ج١، ط٢، كابل:انجمن تاريخ أفغانستان،١٩٦٣م، ص١٦٣، ١٦٤.

ذكرها في أجزاء أخري من تاريخه. وهذا يدل على أن إقليم "بنغالة" كان إقليماً واضح المعالم في ذلك العصر، ويتضح مما سبق تطابق مصطلحي "بانغ" الخاص "بمنهاج سراج" و"بنغالة" الخاص "لبراني" مع حدودها الجغرافية، وقد أكدت العملات الصادرة في هذه الفترة هذا الإتجاه.[١]

وظل اسم "بنغالة" يشير إلى شرق وجنوب البنغال حتي وقت زيارة "ابن بطوطة" (١٣٤٥م : ١٣٤٦م) للإقليم، فقد ذكر "ابن بطوطة" أن سلطانها كان يسمي "فخر الدين"، وأنه كان في حرب مع "علي شاه" حاكم "لكهنوتي".[٢] ويتضح من ذلك أن شرق وجنوب البنغال كان يعرف باسم "بنغالة" وقت زيارة "ابن بطوطة"، وخضع لحكم السلطان "فخر الدين"، وكانت عاصمته "سُنارگَاون"[٣]، وأحياناً "سدكَاون".[٤]

---

[١] براني، ضياء: تاريخ فيروز شاهي، كلكته، ١٨٦٢م، ص٨٢.

[٢] ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج٢، المطبعة الأزهرية، مصر،١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨م، ص١٤٧، ١٤٨.

[٣] كانت مديرية كبيرة في بنغال الشرقية قديماً، تصنع بها الثياب الرقيقة، أما اليوم فهي خراب صار موضعها قرية صغيرة تعرف "ببينام"، هي تبعد خمسة عشر ميلاً من "دهاكه"، وهي بداية الطريق العام الذي خطه "شيرشاه" من بنغال إلى بنجاب. (معين الدين الندوي: معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر، ص٣٣.)

[٤] مدينة كبيرة في مديرية "هوجلي"، تقع عند اثنتين وعشرين درجة وثماني وخمسين دقيقة من العرض الشمالى، وثماني وثمانين درجة وثلاث وعشرين دقيقة من الطول الشرقي، وهي تعد من أقدم مدن الهند، وكانت تعتبر مركزاً تجارياً هاماً إبان الدولة الإسلامية في البنغال حتي سنة ١٦٣٢م،أما اليوم فهي خراب، وصار موضعها قرية صغيرة. (معين الدين الندوي: المرجع نفسه، ص٣٣.)

وتغير الأمر في عهد السلطان "شمس الدين إلياس شاه" الذي قام بتوحيد "بنغالة" و"لكهنوتي" تحت سلطته، ووضع أسس سلطنة إسلامية مستقلة بالبنغال، وأطلق عليها اسم "بنغالة"، وتلقب باسم "شاهي بنغالة" و"شاهي بنغاليان"، وقد أطلق على نفسه هذا اللقب بعد أن نجح في تكوين سلطنة إسلامية مستقلة بها، كانت عاصمتها "بندوه" الواقعة شمال البنغال، وذلك رغبة منه في توحيد كل سكان المقاطعات المتحدثين باللغة البنغالية، وليؤكد نفسه كملك محلي، ولمساعدته في إرساء دعائم حكمه في البنغال.

ومنذ ذلك الوقت أصبح اسم "بنغالة" يشير إلى إقليم ضخم يمتد من "تيلياجارهي" إلى "شيتاجونج" ومن سفح جبال الهملايا إلى خليج البنغال. وقد عد هذا تحولاً عظيماً في تاريخ البنغال، لتوحيدها سياسياً وجغرافياً ولغوياً في إقليم واحد، مما وحد البنغاليون في شعب واحد، ويعد هذا الأمر الجلل من أهم مآثر الحكم الإسلامي للبنغال.

وبدأ التاريخ الإسلامي للبنغال وللشعب البنغالى الموحد، ومنح المجتمع والثقافة واللغة والأدب البنغالى خصوصية وتميز، وهذا مهد الطريق لتميز الشعب البنغالى في العديد من مجالات الحياة، وخاصة مع رعاية السلطان "إلياس شاه" وخلفائه للثقافة والآداب والفنون.[١]

دخول الإسلام البنغال

ترجع الصلات بين العرب والبنغال إلى ما قبل الميلاد، وذلك استناداً إلى بعض المصادر التي ترجع إلى العصور القديمة، ومن أقدم هذه المصادر المخطوطة اليونانية

[١] Abdu Rahim,Mohammad. Social and Cultural History of Bengal.vol.١ ,p.٦,٧.

مخطوطة البحر الأريتري Preiplus of the Erythraean Sea ، والتى ورد فيها أن العرب كانوا يسافرون إلى شواطئ الهند ـ ومنها شواطئ البنغال ـ بالسفن الشراعية، وذلك بغرض التجارة.

ومن أشهر موانئ البنغال التي اعتاد العرب التردد عليها لتبادل البضائع التجارية ميناء "شيتاجونج" الواقع على خليج البنغال، وأغلب الظن أنهم كانوا يواصلون رحلتهم بعد ذلك للصين والتبت براً، وأيضاً إلى أركان وبورما.

ونخلص من ذلك أن التجارة بين العرب وموانئ البنغال كانت مزدهرة وبصفة خاصة في العصر الهلينستي، حيث كان للتجار العرب هيمنة على التجارة مع الهند، فكان لعرب البحرين وسائر بلدان الخليج العربي وعمان وسواحل الجزيرة العربية نشاط كبير في الملاحة البحرية والتجارة مع الشرق، واستمر نشاطهم البحري منذ العصور القديمة وبعد ظهور الإسلام.[١]

وقد دخل الإسلام البنغال قبل الفتح العسكري الإسلامي بفترة كبيرة، واستناداً إلى العديد من الشواهد الأثرية واللغوية يعزي المؤرخون بداية دخوله إلى القرون الأولي للهجرة، وكان الفضل في ذلك يرجع إلى جهود التجار المسلمين والدعاة والصوفية، فقد ارتاد التجار المسلمون ـ وخاصة التجار العرب ـ موانئ الساحل الجنوبي الشرقي للبنغال منذ القرن الثاني للهجرى / الثامن الميلادي فصاعداً.[٢]

---

[١] محمد يوسف صديق: رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في بلاد البنغال، ص٢٩.
Abdul, Karim. Social History of the Muslim in Bengal. Dacca. ١٩٥٩,p.١٧,١٨.

[٢] Abdul, Karim. Social History of the Muslim in Bengal.,p.١٧.

وتؤكد الكشوفات الأثرية وجود علاقات تجارية مبكرة بين التجار المسلمين وموانئ البنغال. فقد كشفت الحفريات التي تمت في سنتي (١٣٥٦ه / ١٩٣٧م: ١٣٥٧ه / ١٩٣٨م) في الموقع البوذي القديم في "بهاربور" بمقاطعة "راج شاهي" عن عملات ترجع للخليفة العباسي "هارون الرشيد" مؤرخة بسنة (١٧٢هـ / ٧٨٨م).[١] كما وجدت أيضاً عملتان من النقود العباسية ترجع إلى القرن الثاني أو الثالث الهجري / الثامن أو التاسع الميلادي، تم العثور عليهما في آثار "ميناماتي" في مقاطعة "كوميللا".[٢]

وبالإضافة إلى العملات وجد العديد من النقوش البنغالية التي تشير إلى قدوم العديد من التجار المسلمين إلى موانئ البنغال، فقد ورد في احدى النقوش ذكر لهم باسم "تاجيكاس"، وهو تعبير أطلقه سكان شرق الهند والصينيون على التجار المسلمين سواء من العرب أو الفرس. كما وجدت إشارات في سجل "تاريخ أركاني" إلى استقرار بعض العرب في عدد من القرى في ساحل "أركان" بعد تحطم سفينتهم، وذلك تحت رعاية ملكها "ما ـ با ـ تو ينج" (١٣٦هـ :١٩٤هـ / ٧٨٠م: ٨١٠م). وولاية "أركان" كانت تضم في ذلك الوقت ساحل "شيتاجونج" والأجزاء المجاورة

---

[١] Sezgin, Fuat. Numismatics of the Islamic World . vol. ٤٢ Umayyad and Abbasid Coins IV. Frankfurt. ٢٠٠٤, p.٧٩,٨٠.

[٢] محمد مهر على: انتشار الإسلام في بنجلاديش وغربي البنغال، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، مج١، انتشار الإسلام، جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية،المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص٢٥٨. محمد يوسف صديق: رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في بلاد البنغال، ص٢٩، ٣٠.

من تل شيتاجونج، وبذلك يكون من المرجح استقرار هؤلاء العرب في مكان ما من المنطقة الساحلية "لشيتاجونج".[١]

وكان لملوك البنغال علاقات دبلوماسية وثقافية مع بعض الخلفاء العباسيين، فقد ذكر القاضي "الرشيد بن الزبير" في كتابه "الذخائر والتحف" أن "رهمي" ملك البنغال أرسل للخليفة "عبد الله المأمون" رسالة مرفق معها هدية أهداها إليه، ومما جاء في الرسالة: "من رهمي ملك الهند وعظيم أركان المشرق وصاحب بيت الذهب وأركان الياقوت وفرش الدر .... أما بعد: فإنه لم يذهب علينا أن ما تقدم من ذكرنا أيها الأخ فيما انتسبنا إليه من الشرف، وعلو الحال غير طائل لزواله، وأنه كان الأولى بنا أن نبتدئ بذكر الله تعالى جل اسمه، غير أنا أجللناه عن أن نبتدئ بذكره إلا في مواضع المناجاة له عابدين، وأخبارك ترد علينا بفضيلة لك في العلم لم نجدها لغيرك من أشكالك، ونحن شركائك في الرغبة والمحبة، وقد افتتحنا باب المكاتبة وطلب الفائدة بأن أهدينا إليك كتاباً ترجمته "صفوة الأذهان" والتصفح له يشهد على صواب التسمية، وبعثنا إليك لطفاً بقدر ما وقع منا موقع الإحسان له، وإن كان دون قدرك، ونحن نسألك أيها الأخ أن توسع أخاك عذراً في التقصير إن شاء الله".

وتضمنت هدايا ملك البنغال إلى الخليفة "المأمون" جمل من عجائب وطرائف الهند أهمها جام ياقوت أحمر به مائة درة، تزن الواحدة مثقال[٢]، وفرشاً من جلد حية شديدة الضخامة، جلدها رائع الوشي، وجارية سندية رائعة الحسن.

---

[١] Abdu Rahim. Social and Cultural History of Bengal,vol.١ ,pp.٤٣-٤٦.

Ali, Muhammad Mohar. History of the Muslims of Bengal. Vol.١: Muslim rule in Bengal (٦٠٠ – ١١٧٠/ ١٢٠٣ – ١٧٥٧) .Riyadh.١٩٨٥,pp.٣٩ - ٤١.

[٢] المثقال وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم، فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل. (ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار الجيل، ص٢٨٩.)

وقد رد "الخليفة "المأمون" عليه برسالة، ومما جاء فيها : "من عبد الله المأمون بالله أمير المؤمنين الذي وهب الله له ولآبائه الشرف بابن عمه النبي المرسل صلي الله عليه وسلم وعلى آله، والتصديق بالكتاب المنزل عليه إلى رهمي ملك الهند، وعظيم من تحت يده من أراكنة الهند وأركان المشرق، سلام عليك.... وصل كتابك فسررت لك بالنعمة التي ذكرتها، ووقع إتحافك إلينا الموقع الذي أملت من قبول ذلك وكنت على ما ابتدأت به من البر محموداً موجباً ذلك إلى الشكر عليه.... واهدينا إليك كتاباً ترجمته "ديوان الألباب وبستان نوادر العقول" ومطالعتك ترجمته تحقق عند فضيلة النعمة، ومشاهدتك تحقق عندك ما أسميناه به، وجعلنا لك عنواناً من الهدية...." وكانت الهدية فارساً بفرسه وجميع آلاته من العقيق، وقيل فارساً بفرسه من عنبر شحري أشهب ، ومائدة جزع أرضها بيضاء وفيها خطوط سود وحمر وخضر، وخمسة أصناف من الكسوة، من كل صنف مائة ثوب، وجام زجاج فرعوني، وغيرها من التحف القيمة.[١]

ونستدل من رسالة "رهمي" أنه كان على علم تام بأخبار الدولة العباسية وخلفائها، وترجع رغبته في التواصل الدبلوماسي والتبادل الثقافي مع الخليفة "المأمون" إلى ما وصل إليه علمه الواسع وتشجيعه للعلماء ونشاط حركة الترجمة في عصره، ويستدل من الكتب المتبادلة بين الطرفين إلى نشاط حركة الترجمة والتبادل الثقافي بين العرب والهنود في ذلك الوقت.

---

[١] الرشيد بن الزبير(القرن الخامس الهجري): الزخائر والتحف، حققه محمد حميد الله، الكويت، ١٩٥٩م، ص ص ٢١ : ٢٨. أبو المعالى أطهر المباركبوري: الهند في عهد العباسيين، دار الأنصار، ١٣٩٩هـ ، ص ص٤٤ : ٤٧.

كما تثبت الإشارات المتفرقة التي وردت في كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين على القدوم المبكر للتجار المسلمين إلى البنغال ، فقد تردد ذكر البنغال في كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين. ويعد الجغرافي "أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة" (ت٣١٠هـ/٩١٢م)من أهم أوائل الجغرافيين المسلمين الذين ورد ذكر موانئ البنغال في مؤلفاتهم، ومن أهم هذه الموانئ "كيلكان" و"اللوا" و"كنجه" و"سمندر"، وقد أمدنا بمعلومات هامة عن موقعهم الجغرافي، وزودنا بمعلومات اقتصادية هامة عن هذه الموانئ.[١]

كما ورد ذكر هذه الموانئ في مؤلف الجغرافي العربي الشهير "عبد الله الإدريسي" "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" الذي زاد عليها موانئ أخري ظهرت في عصره، وهذه الموانئ هي "كلكيان" و"ضنجى" و"كلكسار" و"لولوا" و"كنجه" و"سمندر" وجزيرتها، وقد أمدنا بمعلومات هامة جغرافية واقتصادية عن هذه الموانئ وخاصة ميناء "سمندر".[٢] وباتباع وصف "الإدريسي" يمكن تحديد موقع ميناء "سمندر" بالقرب من نقطة التقاء نهري "براهمابوترا" و"ميجنا" على وجه التقريب.[٣]

ومما ورد في كتابات الجغرافيين المسلمين عن موانئ البنغال يتبين لنا ازدهارها التجاري الكبير، واتصالها بعلاقات تجارية واسعة بين هذه الموانئ والتجار المسلمين الذين كان لهم دور كبير في نشر الإسلام بها.

---

[١] ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله: المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، ص٦٣، ٦٤.

[٢] الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الحسيني: نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، الثقافة الدينية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص٨٢.

[٣] محمد مهر على: انتشار الإسلام في بنجلاديش وغربي البنغال، ص٢٥٧.

وبذلك يتضح من خلال الكشوفات الأثرية من العملات والنقوش ومن خلال كتابات الرحالة والجغرافيين والمؤرخين قدم العلاقات العربية البنغالية، والاستقرار المبكر للعرب في موانئ البنغال قبل الفتح الإسلامي بفترة طويلة، ذلك الاستقرار الذي ظهرت آثاره الاجتماعية والثقافية واللغوية في موانئ شرق البنغال وخاصة ميناء "شيتاجونج".

obeikandl.com